العقد الفريد

من امهات كتب المحاضرة الممتعة "العقد الفريد" لاحمد بن محمد بن عبد ربهِ الاندلسي مولى هشام بن عبد الرحمن الاموي المتوفَّى سنة ٣٢٨ هـ في مدينة قرطبة دار مملكة الاندلس. كتاب حوى من كل شيءٍ طريفهُ ومن كل معنى ظريفهُ بعيد غور مؤلفهِ مستكثر من المحفوظات ضليع من معرفة ايام الناس حسن تأتيهِ في التأليف سليم ذوقهُ من الاختيار. يتصفح العالِم كتابهُ فيستفيد مادة ويقرأهُ الاديب فتسري الفاظهُ ومعانيهِ في منظومهِ ومنثورهِ ويتناولهُ المؤرخ فيقرأ في تضاعيفهِ الصدق في الرواية والاصابة في الاراء ويقبلهُ الطبيب فلا يعدم ان يرى فيهِ نتفاً من طبهِ ووصفاً لعقاقيرهِ ووصفات في تدبير الصحة. ويأخذهُ العامي فيسقط فيهِ على مالا يتيسر لهُ في غيرهِ من النكات المستملحة والاضاحيك المطربة والاحماض الذي تلذُّ لجمهور المطالعين فهو كافٍ جامع "لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة"

احسن ما يعجب بهِ المطلِّع على هذا الكتاب صدق لهجة صاحبهِ فقد ألَّفهُ لعبد الرحمن ابن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة ٣٥٠ اول من تسمى بالخلافة وبأمير المؤمنين بالاندلس لما وهت الدولة العباسية. ألَّفهُ لهُ وهو اموي في المغرب ولم يطرح التصريح بسيرة آبائهِ وجدودهِ في المشرق فذكر المحسن باحسانهِ والمسيء باساءتهِ من خلفاء بني أمية كافة. حتى ان الناظر في العقد لاول وهلة يحسب ان مؤلفهُ شيعيٌّ علويٌّ يكره الأمويين على اختلاف بلادهم وانهُ وقف كتابهُ لغمط حسناتهم. وقد وهم الذهبيُّ في اتهامهِ ابن عبد ربهِ بالتشيع وانهُ من اللاحقين بالامويين والحقيقة انهُ من النواصب منحرف عن علي بن ابي طالب كما انهُ لا يزال بعضهم يتهمون ابن الاثير صاحب تاريخ الكامل بمثل هذه التهمة في المذهب ولو انصفوا لوسموهُ بانهُ مؤرخ صادق

تكلم المؤلف على ملوك بني أمية بالاندلس وامتدح من كان على عهدهِ وألف كتابهُ برسمهِ الذي تولى الملك سنة ثلثمائة كما قال "وهي جمرة تجتدم ونار تضطرم فاخمد نيرانها وسكن زلازلها وافتحها عوداً كما افتتحها بدأً"

اما ايثارهُ نقل شعرهِ على شعر غيرهِ من اهل الاندلس فذلك كما يظهر لاشتهار اشعارهم ولقولهِ في المقدمة "وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على

قاصيتهِ و بلدنا على انقطاعهِ حظًّا من المنظوم والمنثور". وهنا يجمل ايراد قصيدة للمؤلف قدمها لممدوحهِ الخليفة في اول غزاة غزاها وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتنلون التي افتتح بها سبعين حصنًا كل حصن منها " قد نكبت عنهُ الطوائف واعيي على الخلائف " " ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والاسلام " واليكها انموذجًا من الشعر الاندلسي :

قد اوضح الله للاسلام منهاجا والناس قد دخلوا في الدين افواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها كأنما ألبست وشيًا وديباجا
يا ابن الخلائف[1] ان المزن لو علمت نداك ما كان منها الماء ثجاجا[2]
والحرب لو علمت بأسًا تصول بهِ ما هيجت من جبال الدين اهياجا
مات النفاق واعطى الكفر ذمتهُ وذلّت الخيل إلجامًا واسراجا
واصبح النصر معقودًا بالوية تطوي المراحل تهجيرًا وإدلاجا[3]
ادخلت في قبة الاسلام مارقةً اخرجتها من ديار الشرك إخراجا
بمحفل تشرق الارض الفضاء بهِ كالبحر يقذف بالامواج امواجا
يقودهُ البدر يسري في كواكبهِ عرمرمًا كسواد الليل رجراجا
تروق فيهِ بروق الموت لامعة ويسمعون بها للرعد اهزاجا
غادرت في عقرتي[4] جيّان ملحمة ابكيت منها بارض الشرك اعلاجا
في نصف شهر تركت الارض ساكنة من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا
وُجدتَ في الخبر المأثور منصلتًا من الخلائف خرّاجًا وولّاجا
تُملايك الارض عدلاً مثل ماملئت جورًا وتوضح للمعروف منهاجا
يا بدر ظلمتها يا شمس صحبتها ياليت حومتها ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت حتى عقدت لها في رأسك التاجا

وليس كل ما حوى العقد من الاشعار من نظم صاحبهِ فان هناك من اشعار العرب والمخضرمين والمولدين عراقيين وشاميين وحجازيين ويمانيين ما يسيل رقة ويقطر ظرفًا ومتانة فكأن العقد خُصَّ باخبار الشرق وآداب اهلهِ خاصة ولم يورد مؤلفهُ بعض شعرهِ الاَّ مقابل ما عاناهُ في الجمع والتأليف

(١) الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف والجمع خلائف وخلفاء
(٢) ثج الماء سال كانفجّ وتثجّج (٣) يقال هجرنا تهجيرًا وابهرنا وتهجرنا سرنا في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر او من عند زوالها الى العصر والادلاج السير من اول الليل (٤) العقر وسط الدار واصلها . وجيان بلد بالاندلس

اما في المنثور فقد حوى فصولاً وخطباً ورسائل حرية بان ينسج كتابنا وخطباؤنا على منوالها فمن ذلك خطبة ابي حمزة من زعماء الخوارج التي قال عنها مالك بن انس خطبَنا ابو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردّت المرتاب وهي : اوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة الرحم وتعظيم ما صغّرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظّمت من الباطل وامانة ما احيوا من الجور واحياء ما اماتوا من الحقوق وان يطاع الله ويعصى العباد في طاعته ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعو الى كتاب الله وسنة نبيه والقسم بالسوية والعدل في الرعية ووضع الاخماس في مواضعها التي امر الله بها . إنا والله ما خرجنا أشرًا ولا بطرًا ولا لهوًا ولا لعبًا ولا لدولة ملك نريد ان نخوض فيها ولا لثار قد نيل منا ولكن لما رأينا الارض قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادّعاء في الدين وعمل بالهوى وعُطّلت الاحكام وقُتل القائم بالقسط وعُنف القائل بالحق سمعنا منادياً ينادي الى الحق والى طريق مستقيم فاجبنا داعي الله فاقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين في الارض فآوانا الله وايدنا بنصره فاصبحنا بنعمته اخواناً وعلى الدين اعواناً . يا اهل المدينة اولكم خير اول وآخركم شر آخر انكم اطعتم قرّاءكم وفقهاءكم فاخذانوكم (١) عن كتاب غير ذي عوج بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين فاصبحتم عن الحق ناكبين امواتاً غير احياء وما تشعرون . يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ما اصحّ اصلكم واسقم فرعكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة بالدين والبصائر الناقدة والقلوب الواعية وانتم اهل الضلال والجهالة استعبدتكم الدنيا فاذللتكم والاماني فاضلتكم فتح الله لكم باب الدين فافسدتموه واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه . سراعٌ الى الفتنة بطاءٌ عن السنّة عميٌ عن البرهان صمٌ عن العرفان عبيد الطمع حلفاء الجزع نعمَ ما ورّثكم آباؤكم لو حفظتموه وبئس ما تورّثون ابناءكم ان تمسكوا به . نصر الله اباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كان عدد آبائكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث . اتبعتم الهوى فارداكم واللهو فامهاكم ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون وتعبركم ولا تعتبرون سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم اخذوا المال من غير حله فوضعوه في غير حقه وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله واستأثروا بفيئنا فجعلوه دولة بين الاغنياء منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله فقلتم لا نقوى على ذلك ووددنا انا اصبنا من يكفينا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راعٍ علينا وعليكم ان ظفرنا لنعطينّ كل ذي حق حقهُ فجئنا

(١) مبالغة في الخيانة ومعناهُ صرفوكم بالخيانة

فالقينا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فابعدكم الله . فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمهُ لكان اعذر مع انهُ لا عذر للجاهل . ولكن ابى الله الاَّ ان ينطق باسمهِ على السنتكم ويأخذكم بهِ في الآخرة . ثم قال الناس منا ونحن منهم الاَّ ثلاثة حاكماً جاء بغير ما انزل الله او متبعاً لهُ او راضياً بعملهِ

قال ابن عبد ربهِ اسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنهِ على الخلفاء فانهُ طعن فيها على عثمان وعلي بن ابي طالب رضوان الله عليهما وعمر بن عبد العزيز ولم يترك من جميع الخلفاء الاَّ ابا بكر وعمر وكفر من بعدهما فلعنة الله عليهِ . الاَّ انهُ ذكر من الخلفاء رجلاً اصغى الى الملاهي والمعازف واضاع امر الرعية فقال كان فلان بن فلان من عدد الخلفاء عندكم وهو مضيع للدين والدنيا واشتري لهُ بردان بالف دينار ائزر باحدهما والتحف بالآخر واقعد حبابة عن يمينهِ وسلامة عن يسارهِ فقال ياحبابة غنيني ويا سلامة اسقيني فاذا امتلأ سكرًا وازدهى طرباً شق ثوبيهِ وقال الا اطير فطير الى النار وبئس المصير فهذه صفة خلفاء الله تعالى

وهنا لابأس بايراد كلة في اللعن الذي يرى في بعض الكتب فانهُ لايجوز في الاسلام الاَّ على الكفار لاعلى التعيين وما يشاهد في بعض الكتب من لعن بعض اهل القبلة وغيرهم فانما هو من زيادات النساخ اما المتقدمون من المؤلفين فلم يكونوا على ما روى لي عالم حكيم ليضيعوا كلة واحدة في المدح او الذم وكانوا ينقلون الحسنات والسيئات مجردة عن كل طعن ولعن او ثناء ورضاء وقد ورد في الكتاب العزيز عدة آيات في لعن الظالمين والمنافقين اكبارًا لفعلتهم في خراب العمران . وان ابن عبد ربهِ على ادبهِ وحرية ضميرهِ وكونهِ لم ينقل اخبارهُ الاَّ مسندة الى قائليها لم يتمالك عند ذكر ماصدر من مسلم بن عقبة الذي الخش في قتال اهل المدينة لاخذ البيعة ليزيد بن معاوية ان قال عند موت مسلم لارحمهُ الله وكذلك عند موت يزيد وبعد قصة قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير « لارحم الله الحجاج» ولعلَّ ذلك من تزايدات الناسخين على ان ابن عبد ربهِ يعذر بعض العذر في لعنهِ الخوارج فقد وصفهم احد الخلفاء لعاملهِ على العراق بقولهِ : ضع سيفك في كلاب النار وتقرَّب الى الله بقتل الكفَّار . ولكن هي الاغراض السياسية تعمي وتصم

قال ارسطاطاليس عقول الرجال تحت سنّ اقلامهم . كلام يصح اطلاقهُ على ماخلَّفهُ العرب من الآثار ونقل بعضها ابن عبد ربهِ فان هذا المنقول يسوغ ان يتخذ حجة على مبلغهم من الحضارة ودرجتهم من العقل والحنكة والاخلاق وهاك غيض من فيض افكارهم وذرو من وافر آدابهم تدل على انهم ليسوا سيفي فصاحتهم دون فصحاء الغرب لهذا العهد . كتب

احدهم الى صديق لهُ : نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسناً قد باتت تُعلها فهي مشرقة بمائها حالية بنوّارها فرأيك فينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض . فكتب اليهِ . هذه صفة لو كانت في اقاصي الاطراف لوجب انتجاعها وحثّ المطيّ في ابتغائها فكيف في موضع انت تسكنهُ وتجمع الى انيق منظرهِ حسن وجهك وطيب شمائلك وانا الجواب . ولبعضهم : الى الله اشكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك وافول كما قال بعض المحدثين

غضارة دنيا اظلم العيش بعدها وعند غروب الشمس يعرف فقدها

والآخر : الشوق اليك والى عهد ايامنا التي حسنت كأنها اعياد وقصرت كأنها ساعات يفوت الدفاه ومما يجددهُ ويكثر دواعيهِ تصاقب الديار وقرب الجوار ثم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر الى العزّة المباركة التي لا وحشة معها ولا انس بعدها . وكتب المتنابي فكاد ان يخل بالمعنى من شدة الاختصار : حامل كتابي اليك انا فكن لهُ انا والسلام . وللحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك اياهُ عن تحريكي اياك في امرهِ فان الصنيعة حرمة للمصنوع اليهِ ووسيلة الى مصطنعهِ فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من اهلها ووصل بك اسبابها

انا منتظر واحدة من اثنتين عتبي تكون منك او عتبي تغني عنك . الهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل لو ان كل من نازع الى الصرم قلدناهُ عنان الهجر لكنا اولى بالذنب منهُ ولكن نرد عليك من نفسك ونأخذ لا منك

اذا جعلت الظن شاهداً تعدل شهادتهُ بعد ان جعلتهُ حكماً يحيف في حكومتهِ فاين الموئل من جورك ولست اسلك طريقاً من العتب عليك الاَّ شدة ما انطوى عليهِ من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الاَّ اليك ولا استعانة الاَّ بك وما احق من جعلك على امر عوناً ان تكون لهُ الى النجاح سبباً قال الشاعر

عجبت لقلبك كيف انقلب ومن طول ودك انّى ذهب

واعجب من ذا وذا انني اراك بعين الرضا في الغضب

من شكرك على درجة رفعتهُ اليها او ثروة اقدرتهُ اياها فان شكري لك على مهجة احييتها وحشاشة ابقيتها ورمق امسكت بهِ وقت بين التلف وبينهُ فلكل نقمة من نعم الدنيا حدٌّ تنتهي اليهِ وحد يوقف عندهُ وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي قد فاتت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدرهُ وانت من وراء كل غاية رددت عنها كيد العدو وارغمت انف الحسود فنحن نلجأ اليهِ منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر واين يبلغ جهد المجتهد

اما بعد فانك لو عرفت الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك مايضرك فكنت فيما كان منك ومنّا كما قال زهير ابن ابي سلمى

وذي خَطَل في القول يحسب انهُ مصيب فلم يلم بهِ فهو قائلهُ
عبأت لهُ حلماً واكرمت غيرهُ واعرضت عنهُ وهو بادٍ مقاتلهُ

ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصَّغار تميل معهما وتصرف في آثارهما وقد كنت احل مودتك بالمحل النفيس وانزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلتك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك اقوى اسباب عذري في قطيعتك عند من يتصفح امري وامرك بعين عدل لاتميل الى هوى ولا ترى القبيح حسناً

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد اصبح امير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة [1] موفياً بما اخذ الله مضطلعاً بما حملهُ منهُ مؤدياً الى الله حقهُ مقرًّا لله بنعمتهِ شاكرًا لآلائهِ لايأتمر الاَّ عدلاً ولا ينطق الاَّ فصلاً محبياً لدينهِ وامانتهِ كافًّا ليدهِ ولسانهِ

كتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان من حق الاولياء على السلطان تنفيذ امورهم وتقويم اودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء في احسانهم ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم

هذه نُتَفٌ اخذتها عَرَضاً وما هي الأَمثال من الانشاء في القرن الثاني والثالث ولو امعنت في تقليب العقد لبلغ ما ينثق من فضالة امراء الكلام مئات من الصفحات . وحسب المطالع ان يقرأ هذه النموذجات لتكون لهُ ادلة على الوجوع الى الاصل . هناك يرى لمعة مما خطتهُ انامل العتابي وابن يوسف وابن سهل وابن الزيات وابن مكرم وابن وهب وابن الجهم وسهل بن هرون وعمر ابن بحر الجاحظ . ولا ينبغي ان يفوت هذا البحث شيءٌ من كلام سهل بن هرون والجاحظ فان الاول غير مشتهر اليوم عند الخاصة ولقد رأيت كثيرين في مصر والشام مجمعين على ان الثاني يحسن دياجنهِ ومتانة تراكيبهِ وانتقاء الفاظهِ ومعانيهِ يصلح ان يكون شيخ الكتَّاب على الاطلاق فان انشاءهُ هو الحلقة الموصلة بين القديم الغامض والحديث السهل واليك انموذجات من كلامهِ وان اشتهرت كتابانهُ شهرة الشمس والقمر :

اما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة والتفضل على ذوي الاحسان نافلة . اما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فأيهما

(١) الطعمة بالضم وجه المكسب والضريبة الطبيعة والنقيبة النفس والعقل

ظفرت كانت في حزبهِ . اما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار . اما بعد فان القلوب اوعية والعقول معادن فما في الوعاء ينفد اذا لم يمدهُ المعدن . اما بعد فكفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الايام عظة وباخلاق من عاشرتهُ معرفة وبذكرك الموت زاجرًا . اما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب اهون من اطفائهِ بالشتم والقذع . اما بعد فان اهل النظر في العواقب اولو الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرئ الا استغرقت الدنيا همتهُ ومن فرغ لطلب الآخرة شغلهُ جعل الايام مطايا عملهِ والآخرة مقيل مرتحلهِ . اما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للمقادير . اما بعد فان احببت ان تتم لك النعمة في قلوب اخوانك فاستقل كثيرًا مما توليهم . اما بعد فان انظر الناس في العاقبة من لطف حين كف حرب عدوهِ بالصفح والتجاوز واستل حقدهُ بالرفق والتحبب

ومن كلامهِ : اما بعد فان احق من اسعفتهُ في حاجتهِ واجبتهُ الى طلبهِ من توسل اليك بالامل وتزع نحوك بالرجاء . اما بعد فما اقبح الاحدوثة من مستمنح حرمة وطالب حاجة رددتهُ ومثابر حجبتهُ ومنبسط اليك قبضتهُ ومقبل اليك بعنانهِ لويت عنهُ . اما بعد فان فلانًا اسبابهُ متصلة بنا يلزمنا ذمامهُ وبلوغ موافقتهِ من ايادينا عندنا وانت لنا موضع الثقة من مكافأتهِ فاولنا فيهِ بعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأة لحقهِ علينا . اما بعد فقد اتانا كتابك في فلان ولهُ لدينا من الزمام ما يلزمنا مكافأتهُ ورعاية حقهِ ونحن من المغبة بامر على ما كان في حرمة ويؤدي شكرهُ

ولا يظن ظان ان ما ورد في العقد من الاخبار والآثار انما هو مما ولدتهُ العقول في القرون الاولى للاسلام فان فيهِ جانباً من آثار العرب العرباء واخبارهم في الجاهلية واليك انموذجاً من المنثور العربي القديم انقلهُ وانا استميح على هذا التجوز والامور بمقاصدها قال : كان عمرو بن حجر ملك كندة وهو جد امرئ القيس اراد ان يتزوج ابنة عوف ابن محلم الشيباني الذي يقال فيهِ لا حرّ بوادي عوف لافراط عزهِ وهي ام إياس وكانت ذات جمال وكمال فوجهَّ اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر اليها وتمتحن ما بلغهُ عنها فدخلت على امها أُمامة ابنة الحرث فاعلمتها ما قدمت لهُ فارسلت الى ابنتها : اي بنية هذه خالتك اتت اليك لتنظر الى بعض شأنكِ فلا تستري عنها شيئاً ارادت اليهِ من وجه وخَلق وناطقيها فيما استنطقتك فيهِ . فدخلت عصام عليها فنظرت الى ما لم ترَ عيناها مثلهُ قط بهجة وحسناً وجمالاً فاذا هي اكمل الناس عقلاً وافصحهم لساناً فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداع مَن كشَف القناع . فذهبت مثلاً ثم اقبلت الى الحرث فقال لها : ما وراءك يا عصام . فارسلها مثلاً . قالت :

صرّح المخض عن الزبدة . فذهبت مثلاً . قال اخبرني قالت اخبرك صدقاً وحقاً : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل المقصورة ان ارسلتهُ خلتهُ السلاسل وان مشطتهُ قلت عناقيد كرم جلاهُ الوابل ومع ذلك حاجبان كأنهما خطا بقلم او سوّدا بحمم قد بُقوسا على مثل عين البهرة[1] التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة[2] بينهما انف كحدّ السيف المصقول لم يخنس[3] به قصر ولم يمضِ به طول حفت به وجنتان كالارجوان في بياض محض كالجمان شق فيهِ فم كالخاتم لذيذ المتبسم فيهِ ثنايا غرر ذوات اشُر[4] واسنان تعد كالدر ورديق كالخمر له نشر الروض بالسحر . يتقلب فيهِ لسان ذو فصاحة وبيان يزيد بهِ عقل وافر وجواب حاضر الخ

وبعد فهذا ما رأيت التنبيه عليهِ من منظوم العقد ومنثوره بقي ثمت من الفوائد مالا يتيسر الوقوف عليهِ الاّ في المظان البعيدة المنال فمن فوائدهِ التاريخية توسعهُ في الكلام على الفتن التي قامت بين المسلمين بسطهُ بسطاً قلما يجرأ عليهِ مؤرخ . ومن الفوائد التي ذكرها في تضمين الاسرار في الكتب قولهُ ان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المكتوب اليهِ أمرهُ عليهِ شيئاً من غبار الزاج الابيض وان احببت ان لا يقرأ الكتاب بالنهار فاكتبهُ بمرارة السلحفاة

هذا وقد وقع لصاحب العقد اشياء لا ينبغي اغفالها ولا ان يكون اعتبار ما ألّف صاحبهُ مبرراً في السكوت عنها فان لهُ جملاً وفصولاً متقطعة جاءت في عرض كلامهِ ينبذها الادب ولا يقرها الشرع كاخبار الخالعين والماجنين والمفاكهات وغيرها من العبارات التي لا يصح ان تقع في يد الفتى ولا الفتاة وكنت اود ان يعرى سلك العقد على حسنهِ منها

بقي لي ان اقول ان ابن عبد ربهِ على عنايتهِ بجمع جانب مهم من اخبار العرب قد يطيل في بعض الفصول عمداً او على غير رضى الى ان يبعث على السآمة في النفوس مثل إطالتهِ في وصف الخيل والرثاء والانساب والفضائل وغيرها ولا يعترض عليهِ نظم ارجوزة في اعاريض الشعر وعلل القوافي فانهُ قصد بذلك التسهيل على بعض الناس فقد يستفيد المطالع من الشعر والعلم معاً

ومن فضل العرب ان ادخلوا العلوم في سلك النظم حتى سهلت على كثيرين ممن يميلون اليهِ فيقتبسون ضروباً مختلفة من العلوم وهو نوع من الاحتيال على النفوس في ترغيبها في ما لا تميل اليهِ ابتداء . وليت المؤلف نظم اراجيز اخرى في كل فن من فنون الادب الاثني عشر

وللعقد حسنات كثيرة تميزها عن سائر كتب الادب وحبذا لو طبع اجزاء صغيرة طبعاً

---

(١) الرقيقة البشرة الناصعة البياض والجامعة للحسن في الجسم والخلق (٢) القسورة العزيز والاسد
(٣) يقال خنس بفلان غاب به كخنس به (٤) الغرير الذي يكون في الاسنان خلقة ومستعملاً

متقنًا مشكولة بعض الفاظهِ المشكلة ليتيسر وضعهُ في الجيوب ويقرأهُ المولعون في خلواتهم وجلواتهم فانهُ من اشمل كتب القراءة القديمة . ولكل عصر ذوقهُ واصول تأليفهِ وقديمًا قالوا ان الصاحب بن عباد كان يصطحب معهُ احمالاً من الكتب فلما حظي بكتاب الاغاني اقتصر عليهِ كما ان كثيرًا من اهل العلم والمتأدبين في القديم والحديث اقتصروا على العقد الفريد لانهُ فريد في بابهِ

محمد كرد علي

مستقبل افريقية

من الناس من لا ينظر الى ابعد من يومهِ . فيقوم ويقعد ويأكل ويشرب كأن نوائب الدهر عنهُ غافلة وكأن ما يكفيهِ من حطام الدنيا يكفي ابنهُ وابن ابنهِ والرزق مقدور لا يزيدهُ السعي ولا ينقصهُ التوكل . واذا جرت امة كلها هذا المجرى ولم تهتم بالمستقبل ولا ادخرت لليوم العبوس فقلما تقوى على البقاء او يكون لها في معترك الامم شأن يذكر

ومنهم من تراهُ مهتمًّا دئبًا لا يقنع بقليل ولا بكثير يعمر الارض كأنهُ خالد فيها او كأنهُ يعدُّ نفسهُ جزءًا من امة كبيرة تقدر حياتها بالالوف من السنين فيسعى اليوم لما ستصير اليهِ بعد الف عام . ويقال ان الشعب الانكليزي من هذا القبيل فيهتم الآن بامتلاك بلاد تصلح لسكناهُ حتى يهاجر اليها بنوهُ في مستقبل الازمان كما هاجروا الى اميركا واستراليا وزيلندا الجديدة لان بلادهم ضاقت بهم فلا بدَّ من مهاجرة الذين يزيدون من المواليد على الوفيات . وهم يبحثون الآن عما يصلح لسكناهم من قارَّة افريقية

وقد كتب السر هري جنستن الرحَّالة المشهورة فصلاً في هذا الموضوع نشرهُ في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيهِ ما محصلهُ

ان الاوربيين الذين يقصدون الهجرة الى افريقية وامتلاكها وتعميرها كما امتلكوا اميركا وعمروها يجدون امامهم ثلاثة عوائق كبيرة تحول دون مبتغاهم الاول كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة والثاني مقاومة السكان لهم . والثالث الشعور الادبي الذي ابتدأ يتسلط على النفوس في اوربا وهو انهُ لا يحلُّ للاوربيين ان يغتصبوا بلادًا ليست لهم

اما العائق الاول اي كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة فازالتهُ صارت من الامور الممكنة لان الامراض التي تنشأ حيث يكثر الماء اكثرها من